

مجلة أنثروبولوجية (الأوبان) المجلد 16 (العدد 02 بتاريخ 2020/06/15)

ISSN/2353-0197

EISSN/2676-2102

الحضور النسوي في الشعر الشعبي بمنطقة الجلفة

دراسة أنثروبولوجية دينية

The female presence in the popular poetry in the region of Djelfa
Study of religious anthropology

مريم كريفيف¹

الأستاذ الدكتور عبد الوهاب مسعود

مخبر إستراتيجيات الوقاية ومحافظة المخدرات في الجزائر

جامعة زيان عاشور، الجلفة

Krifif mereim

Professor abed elwaheb masoud

Laboratory of prevention strategies and drug preservation in Algeria

Zian Ashour University, Djelfa

mereimmimi03@gmail.com

wahab22m@gmail.com

تاريخ القبول: 2020/03/07

تاريخ الارسال: 2020/02/27

ملخص:

يعتبر النص الشعري الشعبي كغيره من النصوص الشعرية الأخرى الذي يحيلنا إلى تصور مشاعر إنسانية ، ويكشف قضايا إنسانية وتصور هموم الإنسان ومعاناته من القهر والاضطهاد والألم والظلم والنقصان، فتتجسد كل هذه المشاكل في قالب شعري تحت صميم الأنثروبولوجيا. فالشعر الشعبي ينبع من صميم الشعب، إذ يعبر عن خلجاته ومكباته وأحاسيسه بمختلف المواضيع المتمثلة في السياسة والوطن والأعياد الدينية وكل المواضيع التي تمس جوانب حياة الإنسان فتترك وقعا في النفوس، وغالبا ما يكون النص الشعري الشعبي حزين ذا أثر وواقع عميق في نفوس المتلقين .
كلمات مفتاحية: شعر شعبي ، أنثروبولوجيا ، نسوي ، ديني .

1- المؤلف المرسل: مريم كريفيف mereimmimi03@gmail.com

Abstract:

The popular poetic text is considered like other poetic texts that refer us to visualizing human feelings, and reveals human issues and visualizes human concerns and suffering from oppression, oppression, pain, injustice and imperfection, so all these problems are embodied in a poetic form under the heart of anthropology.

The popular poetry stems from the heart of the people, as it expresses its hums, its repercussions and its feelings with the various topics represented in politics, the homeland, religious feasts and all issues that touch aspects of human life, and leaves them in the souls.

Key words: folk poetry, anthropology, feminist, religious.

مقدمة:

لقد عالج الشعر الشعبي النسوي الكثير من القضايا والظواهر الاجتماعية في الجزائر عموما وفي منطقة الجلفة خصوصا، كما لعب هذا التراث الشعري دورا بارزا في الأوساط الأدبية المثقفة منها والعامية وكان تأثيرها قويا لأنه عبّر بصدق عن الجوانب المتعلقة بحياة الإنسان، وكما هو معروف فالشعر الشعبي النسوي يعد مجالا واسعا في النتاج الثقافي بالمنطقة، ومن خلال الاهتمام به فسح المجال لأفاق جديدة خصبة وعذراء لم تمل حقها الكافي من البحث والتنقيب، وبدراسته أكون قد اخترت منهجا لهذا البحث يجمع بين الوصف والتحليل على أن اهتمامي انصب في تحليل النصوص الشعرية تحليل أنثروبولوجي ديني وركزت عليه، وإذا كنت أُلح على التحليل الأنثروبولوجي الديني دون إهمال للجوانب الأخرى، فلإني أؤمن بأن الشعر نشاط إنساني يعكس ما يجري في بيئة الشاعرة من الأحداث ووقائع ومفاهيم.

يهدف البحث إلى دراسة الشعر الشعبي النسوي بمنطقة الجلفة دراسة أنثروبولوجية دينية، كدراسة لها حضورها وتحليلاتها وتأثيرها في العديد من القصائد التي تم التطرق إليها، وتهدف الوقوف على الواقع الشعري الشعبي بالمنطقة، والمساهمة في الحفاظ على الموروث النسوي الشعبي بالخصوص، والتعرف على شاعرات بالمنطقة وجمع كل أشعارهم وتدوينها وتحليلها تحليل أنثروبولوجي ديني.

كما سنتطرق إلى مفهوم الأنثروبولوجيا والشعر الشعبي وعرض أهم الموضوعات التي تناولتها الشاعرة واختيار العديد من القصائد أو المقطوعات الشعرية لبعض الشاعرات، لأقوم بعرض النماذج منها بغية الوقوف على التحليل الأنثروبولوجي الديني للقصائد، ومحاولة الوصول إلى العلاقة بين الشعر النسوي والأنثروبولوجيا.

أولاً: ماهية الأنثروبولوجيا:

1- مفهوم الأنثروبولوجيا:

تعددت مفاهيم الأنثروبولوجيا وتنوعت تبعاً لاختلاف المشارب العلمية للباحثين والدارسين وتباين منطلقاتهم الفكرية ومقاربتهم المنهجية .

جاء في قاموس "هولتكرايس" أن الأنثروبولوجيا Anthropology تعني... حرفياً : علم الإنسان ولما كان هدف النهائي لمعظم الدراسات الإنسانية والعلوم الاجتماعية- وخاصة علم النفس وعلم الاجتماع - دراسة الإنسان أيضاً وصارت الأنثروبولوجيا كعمل مستقل في حاجة إلى تعريف أدق فهي : ذلك الفرع من دراسة الإنسان الذي ينظر إلى الإنسان من حيث علاقته بمنجزاته , ومع ذلك فالأنثروبولوجيا تعني في معظم أجزاء أوروبا: بيولوجيا الأجناس أو السابق ويختلف عن هذا أو ذاك تماماً الاختلاف مفهوم الأنثروبولوجيا الذي كان مستخدماً في الفلسفة قديماً , حيث كان يدل على علم النفس.(مبروك دريدي , 2014- 2015, ص:27)

كما عرفها " مارجيت ميد" بقولها: الأنثروبولوجيا باعتبارها وصف للخصائص الإنسانية البيولوجية والثقافية للنوع البشري في مختلف الحقب الزمنية وفي عديد الأماكن , وتحلل هذه الخصائص كأنساق مترابطة ومتغيرة, اعتماداً على مناهج ومقاييس ونماذج متطورة , وتتم كذلك بوصف وتحليل النظم الاجتماعية والتكنولوجيا , والبحث في الإدراكات العقلية للإنسان وابتكاراته ومعتقداته ووسائل اتصالاته. (حسين فهم , 1980, ص:13).

من خلال تعريف الباحثة الأمريكية " مارجيت ميد" للأنثروبولوجيا يمكن الوقوف على جملة من الخصائص :

- الاهتمام علم الأنثروبولوجيا بمختلف مجالاته الحياة الإنسانية.

- اعتمادها على منهج علمي.

- المقاربة التاريخية للموضوعات محل الدراسة.

2- ميادين الأنثروبولوجيا:

تتنوع موضوعات ومجالات الأنثروبولوجيا وميادين دراستها وفقاً لتنوع الظواهر الإنسانية والاجتماعية وتعدد العوامل المؤثرة فيها والأسباب المؤدية لها , ومن مجالاتها: (حسين فهم, 1980, ص:14-17)

- دراسة الإنسان من الناحيتين البيولوجية والثقافية .
- دراسة لغات الشعوب البدائية واللهجات المحلية والتأثير بين اللغة والثقافة.
- دراسة العادات والتقاليد والقيم , الآداب والفنون والتراث الشعبي للمجتمعات الإنسانية.
- دراسة الوظائف والأدوار الاجتماعية للذكور والإناث والمقارنة بينها.
- دراسة السلوك الاجتماعي والنظم الاجتماعية مثل: العائلة, القرابة, القانون, التنظيمات السياسية المؤسسات الدينية.

ثانيا- تعريف الشعر الشعبي:

قد يصادف الباحث في مجال الأدب الشعبي مجموعة من الكتابات التي تنظر إلى القصيدة الشعرية على أنها الرّجل أو الملاحون أو الشعر الشعبي، وقد تتفرع من هذه التسميات الأساسية تسميات أخرى حسب النص الشعري، مثل: المبيت، أو الموشح، أو القصيدة.

ومن بين المصطلحات التي جلبت اهتمام الباحثين مصطلح " الملاحون"، لأنه أكثر شيوعا وشهرة، وقد عرّفه المرزوقي بقوله: « إنّ الشعر الملاحون الذي نريد أن نتحدث عنه اليوم , فهو أعمّ من الشعر الشعبي إذ يشمل كل شعر منظوم بالعامية , سواء معروف المؤلف أو مجهول , وسواء دخل في حياة الشعب فأصبح ملكا له , أو كان من شعر الخواص , وعليه فوصف الشعر بالملاحون أولى من وصفه بالعامي , فهو من لحن يلحن في كلامه أي أنه نطق بكلام عامي أو بلغة عامية غير معروفة ».

(محمد المرزوقي ، 1967 ، ص : 51)

والملاحظ في هذا القول أنّ المرزوقي قد ألمّ على التعريف , كما يبدو هذا التعريف هو الأصح , لكن النقطة التي تثير الانتباه هي أن الشعر الشعبي لا يخضع لقواعد اللغة من نحو وصرف , وهو ما أشار إليه عبد الله ركيبي : « لما كان الشعر الملاحون - في معظمه - تقليدا للقصيدة المعربة فإن الفرق بينه وبينها هو في الإعراب , فهو إذن " لحن " في الكلام إذا لم يراع الإعراب والقواعد اللغوية المعروفة ».

(د.عبد الله ركيبي, 2009 , ص : 361)

فاشتقاق كلمة ملاحون من " لحن " تعطينا فكرة أنّ الشعر الملاحون يستعمل لغة غير سليمة كما يدلّ على أنه إنتاج شعري نظم من أجل الغناء واللحن.

أمّا محمد عبده غانم فقد أشمل في تعريفه عن تعريف المرزوقي عندما قال : « تستعمل كلمة الملحون تابعة لكلمة "حميثي" أو بدلا منها للدلالة على الشعر الذي لا يلتزم بقواعد اللغة الفصحى ». (د. محمد عبده غانم، 1980، ص: 55)

وهذا يعني أنّ القصيدة الملحونة تتميز بخصائص القصيدة الفصيحة , لكن نقطة الاختلاف كانت في عدم الالتزام بقواعد الإعراب , وقد أشار العلامة ابن خلدون إلى هذه النقطة أيضا لما ميّزه عن الفصح ببنائه المخالف لقواعد اللغة والقريب من العامية وبين سبب نشأة هذا النوع حين قال : « كانوا يقرضون الشعر في سائر الأعراس... ويأتون منه بالمطولات مشتملة على مذاهب الشعر وأعراضه من النسيب والمدح والثناء... ». (ابن خلدون، 1984 ، ص: 582)

وحاول عباس الجراري أن يوحّد الاسم في أغلب الأقطار العربية بإطلاق كلمة "الرّجل" على ما أطلقه غيره بالملحون , لكن علميًا فإنّ الدراسات الأدبية محصورة في كلّ الأقطار العربية بين الأقاليم الضيقة, ولكلّ جهة خاصية تميّزها عن الأخرى , لذلك لا يمكن أن يكون هناك توحيد , لأننا لو بحثنا عن التسمية في أقطار العالم العربي , لعثرنا على مجموعة من التسميات مثل : "الرّجل", "الحميني" "الموال", "و" المبيت", "و" الموشح" وغيرها.

إنه من الصعب تقديم تعريف موحد وأحادي للشعر الشعبي, لأن معظم التعاريف السابقة تثبت أحقية التسمية للمصطلح عن آخر, لكن الرأي الصواب هو لكلّ منطقة تسميتها الخاصة.

ثالثا- الشعر الشعبي الديني النسوي بمنطقة الجلفة:

تأثر الشعر الشعبي تأثرا بليغا بالحركة الدينية والتي كانت بدايتها عبارة عن زهد في الحياة , كما سلف الذكر, فقد اتخذ الزهاد الطرق الصوفية الثقافية الشعبية عموما والشعر الشعبي خصوصا وسيلة لنشر تعاليم خطاياها الديني , كما عاجلت بفضلها مسائل اجتماعية حتى السياسية , يقول سعيد جاب الخير « وقد توسلت المرجعيات الصوفية من الزهاد والعارفين وشيوخ الطرق منذ وقت مبكر بالفنون والثقافة الشعبية لتقوم بوظيفتها في نشر وتحذير خطاياها الديني والروحي والاجتماعي وحتى السياسي أحيانا » (كانتينوا جان, 1966, ص: 26), ويضيف أيضا « وفي هذا الإطار يأتي الشعر الشعبي على رأس الوسائل التي وظيفتها الطرق الصوفية في نشر تعاليمها ».

فإن الشاعرة الشعبية الدينية تتشبع بالثقافة الدينية والتي هي تحت راية الإسلام فعملت جاهداً للحفاظ على هذا الدين وترسيخ معالمه في المجتمع, بعد أن صار مهدداً بالتنصير من قبل الاستعمار الخارجي , فهذه الثقافة تعد زادا معرفيا تغذي منها في المساجد والزوايا أين تلقى تعاليم هذا الدين وبالتالي فالشعر الشعبي الديني النسوي يعبر عن الجماعة الشعبية باستحضار المؤهلات الدينية والثقافية والاجتماعية , فنظمت وشيدت قصائد شعبية تنبض بالقيم الصوفية وتعبر عن كل ما هو متعلق بالدين الخاص , « ولا يعني ذلك أن شعراء الملحون كانوا عاجزين عن نظم الشعر الفصيح ولكنهم كانوا ينظمون الملحون أكثر من الفصيح لأنه أكثر وأوسع انتشارا وأكبر أثرا وبالتالي أكثر فعالية في توصيل الرسالة الصوفية » (سعيد جاب الخير, 2007, ص:76), وفيما يخص قصائد الشعر الشعبي فإنها لا تعبر عن الجانب الأدبي بقدر ما تعبر عن جانب روحي هدفه بلوغ درجة قريبة من الله , « حيث أن مدرسة الشعبي ما هي امتداد لظاهرة المدائح المنطلقة أساسا من الفضائل الصوفية المتمثلة في الزوايا ». (سعيد جاب الخير, المرجع نفسه).

والشعر الشعبي الديني زاخر بأسماء لامعة في عالم التصوف , ونذكر على سبيل المثال لا الحصر الشاعرة الجلفاوية « سعيدة بنت محمد » التي مدحت النبي محمد صلى الله عليه وسلم في قصيدة بعنوان « مدح الرسول صلى الله عليه وسلم », والتي تلمس فيها عاطفة دينية صادقة بالأمل والرجاء في الشفاعة يوم القيامة فتقول:

بإسم الله إبدت إنشادي على النبي المختار
صلى الله على سيدي بولنوار
من تابع سيرات نبينا ما يدخلش النار
راضي عنو رب العزة مولانا الغفار
يا عقال أنتبهوا إنوركم على ما صار
محمد زين الرسالة يرسل الجبار

جات الغزالة تمشي مشية مشطارة
قاتلوا يا رسولي أمنعني حسيت قلبي طار
وتاكافر خفت إشوطني يشويني على النار
خرج رسول الله صيد إجهار
قالوا واش جايبك لهذا المشوار
قالوا يا سيدي أنا ما جيتك عنها ديار
أنا عنها شقيت إسلاريقي طابوا من الأظفار
قالوا خير واشتيت دراهم ولا شياه أكبار
راحت لغزالة في ذيك الليلة
خطفت بالكار قالتلهم أميما حيرتينا
عيدي علينا هذي الأخبار والمولى الستار
قالتلهم ضامني بابا فطوم نرجعوا للدار
سارت في ذيك الليلة بالتبكار
قالها هذا ما عنك يا زيننت لقدار جيقي

بدأت الشاعرة في مطلع قصيدتها بالبسملة على بدئها بمدح الرسول صلى الله عليه وسلم وذكر خصاله،
وبأنه يتصف بالعديد من الصفات الخلقية والتي جعلت منه خير رسول للدين الإسلامي وخير نبي أرسل

للأمة , فقال عز وجل: « وإنك لعلی خلق عظیم » , ومن أبرز الصفات التي تميز بها النبي الكريم معاملة الناس بمساواة وعدم التفريق بينهم وإفشاء السلام , وامتنلاكه وجهها بشوشا ذو أخلاق حميدة .
كما يتضمن الرثاء على الرسول صلى الله عليه وسلم , فوردت هناك قصائد في رثاء الرسول كقول الشاعرة:

مَا أعظم ذاك النهار ما أكبرها صبيحة يوم خرج الرسول من بين صحابوا

تعبر الشاعرة عن فاجعة موت الرسول صلى الله عليه وسلم فتعبر عنها بقصيدة تصف ألمها وأسأها ولوعة فراقه, لكن في الأخير تتقبل الأمر كونه مقدر من الله عز وجل , فالشاعرة تصبغ بتعاليم الإسلام التي تنص على أن مآل الإنسان هو الفناء .

رابعا- الأنثروبولوجيا والتراث الشعري الشعبي:

إن التراث الشعري الشعبي الديني إجتاح حياتنا الثقافية والاجتماعية والاقتصادية فإننا « لقد تناسينا أن التراث موشوم على أجسامنا عالق بأذاننا منقوش على جدراننا , حال في لغتنا مكبوت في لا وعيينا» .
(عبد الغني بارة , 1999, ص: 91).

بما أن الأنثروبولوجيا تهتم بدراسة الإنسان , فلا بد من التطرق إلى ظواهره الثقافية وبيئته وهذا ما يدفعنا إلى ضرورة التعرف على تراثه الشعبي الذي يعد قاعدة وبيئة تحتية يركز عليها فكره, كما أن التراث الشعري الشعبي يؤدي دورا بالغ الأهمية يتمثل في تصوير هموم الإنسان ومعاناته من القهر والإضطهاد والألم والظلم , فتتجسد كل هذه القضايا في نص شعري والتي تتناقل شفاهها من جيل إلى جيل .
وأهم ميزة يتسم بها التراث الشعري الشعبي هو ملازمته للحياة الجمعية « التراث ملازم للحياة الجمعية بما يعنيه التراث من تعبير الأفراد عن وجودهم في جماعة ومن تعبير الجماعة عن حضورها في الكون» . (عبد القادر بوشيبة, ص: 142).

فالتراث الشعري الشعبي مادة حية صادرة عن الشعب , يعبر من خلالها عن مشاعره وعاداته وتقاليده بشكل عفوي , كما انه ليس محصلة عصر واحد أو مجرد آثار ومخلفات متحجرة نتجت عن الماضي , وإنما قاومت مرور العصور واستمرت على الرغم من كل التغيرات التي مستها فهو التاريخ الحقيقي الذي يصور لنا أحداث الحياة الإنسانية من خلال نص شعري , وهذا ما يبرر أن جذوره ضاربة في أعماق الجماهير .

فالتراث الشعري الشعبي أكثر حاجة إلى الرعاية وبذل جهد فيه والتماس النضج والأصالة منه والتطلع إلى النهوض به , لأنه ببساطة المعبر الصادق عن حياة الشعب وهو ذاكرة الشعب التي تحتزن همومه وأشواقه وهو المصور الحقيقي لواقعه المعيش , يصاحبه في أفراحه فيعبر به عن النشوة العارمة التي تهزه وهو يأخذ من حياته نصيبا من البهجة , ويواكبه في صراعاته اليومية, وفي هذا الشعر حكمته الشارة التي إستخلصها من تجاربه الحية , وصار يطبقها في حياته توجهه بالعقبات وتفرض عليه من يعيش المحن صابرا مستسلما لقدر لا يستطيع الهروب منه , ولذلك كان الشعر الشعبي أغزر مادة وأكثر تنوعا من الشعر الفصيح , كما كان أكثر التصاقا بقضايا الناس ومشاكلهم اليومية , فيه يغنون وبه يتمثلون وبه يكون ويحاربون. فالشعر الشعبي بصفة عامة القدرة الكبيرة والإحساس الواسع لنقل هموم العامة من الناس , من جانب الظروف المحيطة به «ذلك أن الشعر مؤسسة ثقافية متجددة تتجاوز الحدود السياسية والإقليمية وهو أقدر على التواصل والتبليغ من الأدب الرسمي» (عبد القادر شرشال , عدد172) .

1- إبداع الشاعرة الشعبية بمنطقة الجلفة:

كان الهم الثقافي الذي تعيشه المرأة الجلفاوية حافزا كبيرا للكتابة في شتى المجالات الأدبية والفنية ومختلف الأجناس الإبداعية , الراوية والقصة والمقالة والخواطر والشعر بوجه الخصوص , ولقد استطاعت المرأة المبدعة عندنا أن تطرح أسئلة جوهرية من خلال الكتابة تتعلق بالحضارة والإنسان والتاريخ وملابسات الواقع, وهذه المنطلقات تضافرت لتنتج إبداعا روائيا نسائيا يتوفر على علامات دالة على حساسية أنثوية تعبر عن الجوهري في المرأة المتمثل في راهن وجود وأفق المصير.

لقد تميز فعل الإبداع بقيمة خاصة لدى المرأة المبدعة, يمثل وسيلة تمكنها من إثبات وجودها وتأكيد هويتها حتى تتوصل إلى تحقيق كيائها وتحسيد مختلف الأدوار الاجتماعية التي تطمح إلى داخلها.

ونلجأ إلى أن الشعر الشعبي النسوي بالمنطقة مليء بالأيقونات التي تتصل بثقافة هذا الشعب الموروث عن الأجداد , كما أنه كغيره من النصوص الشعرية الأخرى , يصور مشاعر إنسانية ويكشف قضايا اجتماعية , ويبرز ولو جزء من إبداعات المرأة , وما تعايشه وتكابده من أحداث بوصفها أنثى لها كيائها الخاص , تتأثر وتؤثر, دالة على ذلك في رسالة شعرية ذات دراسة فنية جميلة معبرة عن مكنوناتها الداخلية. تتمثل قيمة الشعر الشعبي النسوي في احتوائه لجمهور عريض, وكونه يمثل افترازا عند الرجل انطلاقا من قاعدة أن كل ممنوع مرغوب , واللافت للنظر أن لغة الحكيم أو الوصف والسرد تختلف من شاعرة إلى

أخرى انطلاقاً من ثقافة وموهبة وإبداع كل شاعرة , وأكثر ما يميز هذه الأشعار احتواؤها لمعتقدات وثنية كالقسم بالأجداد وتوظيف الجانب الأسطوري واستطاعتها عن التعبير عن أدق تفاصيل الحياة الاجتماعية والروحية.

قد تكون القصائد في منطقة الجلفة محورا لتبرز مآثر الميت وتصور اللوعة الكامنة في القلب جراء فقد هذا الحبيب أو ذلك الأخ والصديق , فالموت فاجعة تأتي لتسرق منا أحبابنا وتسرق دموعنا وآهاتنا, وأكثر ما يُرسخ الباكية بالذاكرة الشعبية أحمأ قيلت في شخص عزيز من الجنس الآخر " المرأة " , وهذا المخلوق الرقيق الذي يطاله ألم الفقد أكثر مما يصيب الرجل نظرا لرهافة حساسيته ومشاعره, صحيح أن الرجل صلب إزاء هذه المواقف الفاجعة ولكنه هو الآخر لا يملك أن يحبس دموعه بخلاف المرأة التي تفوح الوثنية في أشعارها فضلا عن النذب واللطم , وتلك شيمة الأمهات خصوصا البدويات منهن لأنهن أقرب للتوحش « والإنسان في طفولته الأولى وحياته الوحشية لم يكن يتميز عن الحيوان تمييزا بشريا, إلا أنه كان يظهر بإزاء الموت تعبيرات ملموسة لثقافته الروحية , ذلك بأن ساكن الكهف الذي لم يكن قد خلق اللغة والذي كان شغله الشاغل مليء بطعمه ولتماس المأوى الأمين بعيدا عن الوحش ذلك الإنسان نفسه هو الذي كان ييدي من الانفعال موت أحد أحبائه ما لا يستطيعه حيوان آخر , فيدمر في إبان حزنه ما جمع من طعام وما شقى فيه من أدوات صيد ويلقي بذلك في الماء أو الخراب علامة على يأسه ». (أحمد رشدي صالح : ط3, ص: 266-267).

ولقد أبدعت الشاعرة الجلفاوية في شعر الأمومة والغزل والوطن والأسرة والإنسانية وكل ماله علاقة بالوجدان والقيم, فهي لا تنتظر بتاتا أن يشار إليها بالنجاح والتقدم والإبداع، فهي منذ القدم أثبتت شاعريتها وموهبتها وتفوقت في مختلف المحافل والمنابر الأدبية والثقافية وغيرها ولا يشكك بها إلا من لا يثق بنفسه وموهبته، الفارغ من الثقافة كما كان حضورها يشهد توهجا شعريا وإعلاميا ويبدو أنها تحررت من القيود التي تحيط بها.

وتأسيسا على ما قلناه , قد اشتهرت الظاهرة الشعرية الشعبية بالمنطقة وعرفت رواجاً في الأوساط الأدبية المثقفة منها والعامية , وأصبحت أسماء مجموعة من الشاعرات بمثابة ذاكرة ثقافية تعبر بها الأفراد والجماعات وأصبحت قصائدهن إرثاً أدبيا وثقافيا , وسنسلط الضوء لأهم الشاعرات الشعبيات بالمنطقة ونذكر محصولهن الشعري الجبار في ضوء التحليل الأنثروبولوجي.

تقول الشاعرة « قبله بركاهم » في قصيدة تسرد حال الدنيا وهمومها بعنوان « الدنيا » :

هَـذِي الدنـيَا كـيـمًا مِثْلَ السَّلَومِ	وَحَيَاتِكَ دَرَجَاتٍ فِيهَا تَلْقَاهَا
تَبْدَى الدَّرَجَةُ لَوَلَّى فِي هَذَا الْيَوْمِ	بَيْنَ الْوَالِدِينَ دُنْيَا مَحْـلَاها
مَا تَتَعَقَّدُ مَا عَلَيْكَ النَّاسُ تَلَوِّمٌ	وَتَسْعَدُ مِنْ أَدْنَى حَوَايِجِ تَلْقَاهَا
وَتَبْدَى الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةَ هَذَا مَعْلُومٌ	مَرَحَلَةَ الشَّابِّ تَظْهَرُ مَقْـوَاهَا
فِي بَحْرِ الدُّنْيَا بَدِيتُ فِي شَاوِ الْعَوْمِ	وَمَوَاجُهُ مَضَارِيَةٌ فِي بَعْضِهَا
فِيهَا مَنْ يَغْرُقُ وَمَا يَعْرِفُشْ يــــُـعْـوَمِ	وَفِيهَا مَنْ هُوَ فِي سَفِينَةٍ سَوَاهَا
وَفِيهَا مَنْ هُوَ رَاقِدٌ وَدَاهِ التَّــــوَمِ	وَمَا يَعْرِفُشْ وَيَنْ نَفْسُو يَلْقَاهَا

فهذه الأبيات تأكيد واضح وصريح على وصف مراحل حياة الإنسان وتسلسلها , من مرحلة الولادة إلى آخر مرحلة في حياته وهي الموت وفي كل درجة توصي بها الشاعرة بأن الدنيا هي إلى متاع وغرور , فلا تقع في فخ متاعها ولا يغرينك ملذاتها , فالإنسان يمر فيها تارة بأحوال صعبة وتارة أخرى بأوقات سعيدة , فالشاعرة تخوف وتحذر الناس من مخاطر الدنيا وتمثل لها كدوامة البحر من يدخلها يغرق فيها , وإذا لم تمشي فيها بعقلانية ونفس محبة لله وروح صادقة ستجد نفسك في دوامة الظلم والمكر والخداع , وتختتم قصيدتها على أن حال الدنيا هي سنة الحياة ونهايتها الموت , لتؤكد على ضرورة القناعة بما قدره الله فتقول:

يُنْقُصُ سَمْعَكَ وَالْبَصَرَ وَيَطِيرُ الثُّومُ	وَاحْسَابُ الصَّمِيرِ وَأَمْرَاضُ مَعَاهَا
هَـذِي دُنْيَا فَانِيَةٌ لَا حَالُ يَدُومِ	وَالنِّهَايَةُ كَائِنَةٌ نَسْتَنْتَاهَا

وتقول شاعرة أخرى في قصيدة لها بعنوان « طلب العلم » :

يَا قَوْمِي أَنْحَثْكُمْ عَلَى وَاجِبِ	فِيهِ الْخَيْرُ وَفِيهِ مَنْفَعَةٌ وَصَلَحِ
أَوَّلُ نُقْطَةِ الْجَهْلِ لَازِمٌ يَتَحَارِبِ	بِأَيِّ حُجْهِدٍ نَقَابِلُوهَا بِكُلِّ سَلَحِ
مَرَضُ الْجَهْلِ دَوَاهٍ رَاهُ مَجْرَبِ	سَوَى الْعِلْمِ الَّلِّيْ يَغْذِي الرُّوحِ
يَا قَوْمِي الْعِلْمُ أُسْتَاذٌ يَدْرَبِ	أَيُخْرِجُ جُنُودَ تُصْلِحُ لِلْكِفَاحِ

ها هي إذن الشاعرة توجه في خطابها إلى أبنائها شعبها , تحثهم على طلب العلم والعمل منبهة إلى خطورة الجهل وما قد ينجر عنه من آفات تهدد حياة الناس بشكل عام , وأن الجهل هو مرض يعاني منه

الإنسان في مختلف المجتمعات ويؤدي إلى نقص المعرفة والإدراك والتمسك بالعادات القديمة والإنسياق وراء أفكار غير سوية مما يتسبب عنه وقوع الكثير من المشاكل والأضرار , وتنصحهم بالتصدي للجهل والأفكار الخاطئة مما يضمن إستقرار المجتمع وتقدمه وبناءه للإرتقاء إلى المعرفة موضحه ذلك في البيت :

مَرَضَ الْجَهْلُ ذَوَاهُ رَاهُ مُجَرَّبٌ سَوَى الْعِلْمِ إِلَيَّ يَغْذِي الرُّوحَ

وتقول شاعرة أخرى :

الدُّنْيَا كُنُوطْرَا وَحَنَّا عُمَّال
وَلِيَّ كَمَلٍ عَقْلُوا يَتَوَقَّفُ
مَا يَنْفَعُ لَأَجَاهُ وَلَا مَالُ
وَمَدْبَرُهَا يُوَهِّبُ وَيَخَوِّفُ
مَتَّقُولُشْ نَتْرَسَمُ مُحَالُ
وَأَجْيَالُ بَعْدَ أَجْيَالُ تُخْلَفُ

في هذه الأبيات خطاب موجه من الشاعرة إلى الإنسان توصيه بأن هذه الدنيا أن الدنيا هي مجرد وقت للعمل وعبادة الله ولسنا خالدين فيها ولا ينفع فيها مال ولا جاه والبقاء لله وحده. كما قال السلف : « وأعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا وأعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » .

تعددت الصفات التي ألحقتها الشاعرات بالدنيا, من غدر وخداع, مكر وظلم وما يحدث فيها من انحطاط وفساد وتدني الأخلاق.

وتقول شاعرة أخرى في قصيدتها الدهر لتكشف وتخطب المجتمع وتوصيه أن يكون متديرا وأن ينظر إلى عاقبة الأمور, كما يعرضه أن يكون صبورا ورحب الصدر حتى يستطيع مواجهة مصائب الدهر والتصدي لغدر الزمان ومرارة الحياة فجاءت فيها:

يَا ذَا الدَّهْرِ عَلَاهُ عَنَا تَتَقَلَّبُ وَمَا يَبْقَاشُ حَدَ إِلَّا سُبْحَانُو
لَكِنِّي فِي غَرْبِنَا تَسْتَغْرِبُ وَالْمَسْلَمُ كَيْفَاشْ يَغْدَمُ إِخْوَانُو
الَّذِي خَافَ اللَّهَ قَالُوا يَتَرَهَّبُ وَلِلِّي جَنَدٌ خَافَ يَظْهَرُ مَكَانُو

وَاللّٰی يَقُولُ الْحَقَّ يَوْمُوْا مَا يُعَقَّبُ وَلِیْ یَسْكُتَ نَارٌ فِی وَسْطِ اَكْثَانُوْ

خاتمة :

لقد اتضح لنا من خلال دراستي لهذا البحث أن الشعر الشعبي النسوي الجلفاوي فيه من الزخم والتنوع ما يغذي الباحثين ببحثه وسير غوره واستخراج ذخائره، ولعل أبرز ما يغلب عليه الطابع الديني وذلك راجع إلى تأثير الدين الإسلامي في نفوس الشعب، ومن خلال دراستي في مكنون القصائد النسوية الشعبية التي تخص منطقة الجلفة أن الشعر الشعبي النسوي يعد ذخيرة ثمينة وصورة عميقة من عادات الشعب ومعتقداته وقضايا الإنسانية، فهي تتغذى بموضوعات إجتماعية بحتة من خلال معالجتها مختلف المضامين الإجتماعية. كما اشتهرت الظاهرة الشعرية الشعبية بالمنطقة وعرفت رواجاً في الأوساط الأدبية، وأصبحت أسماء الشاعرات بمثابة ذاكرة ثقافية وأصبحت قصائدهن لها إرثاً أدبياً وثقافياً، كما سلطنا الضوء على محمولهن الشعري في ضوء التحليل الأنثروبولوجي، وعموماً فإن علم الأنثروبولوجيا يدرس حياة الإنسان في مختلف نشاطاته الفكرية والثقافية، فمن البديهي الاقرار بأن هذا العلم يمكن أن يتخذ من الشعر الشعبي موضوعاً من الدلالات، وبالتالي دراستها دراسة تمكنا من فهم وإدراك خصائص مجتمع ما ساهم في إنتاج هذا القالب الفني الذي يعكس خلفيات فكرية وثقافية فنية عريقة.

قائمة المراجع:

- 1- ابن خلدون، (1984). المقدمة. المجلد 2. الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر.
- 2- بارة، عبد الغني (1999) نقلا عن عبد السلام بن عبد العالي. ميثولوجيا الواقع. ط 1. دار توبقال للنشر. المغرب.
- 3- بوشيب، عبد القادر (2002-2003). الظواهر اللاأرسطية في المسرح العربي المعاصر (1964-1986). أطروحة الدكتوراه. جامعة وهران. الجزائر.
- 4- جاب الخير، سعيد (12 - 13 أفريل 2007). العلاقة بين التصوف وشعراء الملحنون في الجزائر محمد بن مسايب أنموذجاً. مجلة القدس العربي.
- 5- دريدي، مبروك (سنة 2014-2015). مطبوعة علمية في مقياس: الأنثروبولوجيا.
- 6- رشدي، أحمد صالح (1971). الأدب الشعبي. ط 3. مكتبة النهضة. القاهرة. مصر.

مجلة أنثروبولوجية الأوبان (المجلد 16 العدد 02 بتاريخ 2020/06/15)

ISSN/2353-0197

EISSN/2676-2102

- 7- ركيبي, عبد الله (2009). الشعر الديني الجزائري الحديث (الشعر الديني الصوفي). ج 1 . دط. دار الكتاب العربي . القبة . الجزائر.
- 8- شرشال, عبد القادر . النص الشعري الشعبي . عدد 172 . المؤسسة الثقافية المتجددة. مجلة النور .
- 9- غانم , محمد عبده (1980). شعر الغناء الصنعائي. ط 2 . دار العودة . بيروت.
- 10- فهميم , حسين (فبراير 1980). قصة الأنثروبولوجيا ' فصول في تاريخ علم النفس ' . دط. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . الكويت.
- 11- كانتينيوا , جان (1966) . دروس في علم الأصوات العربية , نشریات مركز الدراسات والبحوث الإقتصادية والاجتماعية, الشركة التونسية.
- 12- المرزوقي , محمد (1967). الأدب الشعبي. ط 5. الدار التونسية للنشر. تونس.